السيرة النبوية للفتيان

(٣)

الدَّعْوَةُ فِي مَكَّةَ

إعـــداد

أ.د. أحمد عمر هاشم

العبيكان
Obeikan

ⓒ مكتبة العبيكان، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
هاشم، أحمد عمر
الدعوة في مكة./أحمد عمر هاشم. - ط٢.- الرياض، ١٤٣٠هـ.
٤٥ص؛ ١٧ × ٢٢سم
ردمك: ٦-٨٢٩-٥٤-٩٩٦٠-٩٧٨
١- السيرة النبوية ٢- كتب الأطفال - السعودية
٣- الدعوة أ- العنوان
ب- السلسلة
ديوي ٣، ٢٣٩ ١٤٣٠/٦٠٧١

رقم الإيداع: ١٤٣٠/٦٠٧١
ردمك: ٦-٨٢٩-٥٤-٩٩٦٠-٩٧٨

الطبعة الثانية
١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

الناشر: العبيكان للنشر
الرياض - شارع العليا العام - جنوب برج المملكة
هاتف ٢٩٣٧٥٧٤ /٢٩٣٧٥٨١ فاكس ٢٩٣٧٥٨٨
ص.ب ٦٧٦٢٢ الرمز ١١٥١٧

التوزيع: مكتبة العبيكان
الرياض - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة
هاتف ٤١٦٠٠١٨ /٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩
ص.ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ «فوتوكوبي»، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الناشر.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ ﴾

[الشعراء: ٢١٤ – ٢٢٠]

إيذاء قريش

كمَا ينتشرُ نورُ الشمس شيئًا فشيئًا ليطلعَ النهارُ، انتشرَ الإسلامُ في مكةَ، فكلَّ يوم يسمعُ ساداتُ قريشٍ بمَن يدخلُ في الدين الجديد، والرسولُ ﷺ ثابتٌ على موقفه لا يقبلُ مساومتَهم لهُ علَى دينه، ويتحمَّلُ في سبيلِ الله تعنُّتَهم وإيذاءَهم له ولصحابته، رضوانُ اللهِ عليهِم.

* * *

وكانَ من صُوَرِ هذَا الإيذاء السخريةُ والاستهزاءُ والتكذيبُ، فكانُوا يتعرَّضُونَ للرسول ﷺ وصحابته في الطرقات ويلقُونَ عليهم الشتائم، ويرمُونه ﷺ بتُهَم هزيلة.. وكانُوا كمَا قصَّ اللهُ علينَا في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾[1].

* * *

(١) سورة المطففين: الآيات ٢٩ - ٣٣.

ويقصُّ علَينا عبدُ الله بن عمرو بن العاص بعضَ ما رآه أبوهُ عمرُو ابنُ العاص من إيذاء قريش للرسول ﷺ فيقولُ:

ذاتَ يومٍ سألتُ أبي وقلتُ له:

- ما أكثرُ ما رأيتَ قريشًا أصابُوا من رسول الله ﷺ فيمَا كانُوا يظهرونَ من عداوتِه؟

فقالَ:

- حضرتُهُم وقد اجتمعَ أشرافُهم يومًا في الحِجْر[1]، فذكَرُوا رسولَ الله ﷺ فقالُوا: ما رأيْنَا مثلَ مَا صبَرْنا عليه من أمر هذَا الرجل قطُّ، سفَّهَ أحلامَنا، وشتمَ آباءَنا، وعابَ دينَنا وفرَّق جماعتَنا، وسبَّ آلهتَنا. لقد صَبرنا منهُ علَى أمر عظيم.

فبينَما هُمْ يقولونَ ذلكَ إذْ طلعَ رسولُ الله ﷺ فأقبلَ يمشي نحوَ الكعبة حتَّى استلمَ الركنَ، ثمَّ مرَّ بهم طائفًا بالبيت، فلمَّا مرَّ بهم شتمُوه ببعض القول، فغضبَ الرسولُ ﷺ وظهرَ الغضبُ على وجهه، ثمَّ مضَى دونَ أن يكلمَهم.

(١) هو حِجْر إسماعيل المتَّصل بالكعبة.

فلمَّا مرَّ بهمُ الثانيةَ شتمُوه، فمضَى دونَ أن يكلِّمَهم، ثمَّ مرَّ بهِم فشتمُوه، فوقفَ وقالَ مهدِّدًا لهُم ومتوَعِّدًا:

- «أتسمعونَ يا معشرَ قريشٍ، أمَا والذي نفسي بيده، لقدْ جئتُكم بالذبحِ».

فسكتَ القومُ كأنَّ علَى رؤوسِهم الطيرُ، وقامَ بعضُهُم يهدِّئُ النبيَّ ﷺ ويقولُ لَه:

- انصرفْ يا أبَا القاسم، فوالله ما كنتَ جَهولاً..

فانصرفَ رسولُ الله ﷺ حتَّى إذَا كان من الغَد اجتمعُوا في الحجْر وأنا معَهُم [1] فقالَ بعضُهم لبعض: ذكرْتم ما بلغَ منكُم، وما بلغكم عنهُ، حتَّى إذا بادَأكُم بما تكرهُونَ تركتُموه، فبينَما هم في ذلكَ طلعَ عليهم رسولُ الله ﷺ فوثبُوا إليه وثبةَ رجل واحد، وأحاطُوا به يقولونَ: أنتَ الذي تقولُ كذَا وكذَا.

فيقولُ رسولُ الله ﷺ:

- نعم أنا الذي أقول ذلك.

(١) لم يكن عمرو بن العاص قد أسلم عندما حدث ذلك.

فأخذَ رجلٌ منهُم بمجمَع رداء النبيِّ فقامَ أبوبكر مسرعًا، وحالَ بينَ رجال قريشٍ وبينَ رسول الله، وقالَ وهو يبكي:

- أتقتلونَ رجلاً أن يقولَ ربِّيَ اللهُ؟!

فانصرفُوا عن الرسول ﷺ.

وذاتَ يوم مرَّ أبو جهل برسول الله ﷺ عندَ الصفَا، فآذاه وشتَمه، ونالَ منهُ بعضَ ما يكرَهُ من العيب لدينه والتضعيف لأمره، فلمْ يكلِّمْه رسولُ الله ﷺ، وكانْت مولاةٌ لعبد الله بن جدعانَ تسمعُ ذلكَ.

وبعدَ قليل أقبلَ حمزةُ بنُ عبد المطلب -رضيَ اللهُ عنه- متوشِّحًا قوسَه، فلمَّا مرَّ بالمولاة قالتْ له:

- يا أبَا عمارةَ، لو رأيتَ ما لقيَ ابنُ أخيكَ محمدٌ آنفًا من أبي الحكَم بن هشام، وجَدُه هُنَا جالسًا فآذاهُ وسبَّه وبلَغَ منهُ مَا يكرهُ، ثم انصرفَ محمدٌ عنهُ ولم يكلِّمْه.

فغضبَ حمزةُ ومضَى بينَ سادَات قُرَيش حتَّى وقفَ أمامَ أبي جهل فرفَعَ القوسَ وضربَه بها فشجَّ رأسَه، ثمَّ قال:

- أتشتُمُه وأنَا على دينه أقولُ ما يقولُ؟ فرُدَّ ذلكَ عليَّ إن استطعتَ.

فقام رجالٌ من بني مخزوم إلى حمزة لينصرُوا أبا جهل، فأشارَ إليهم أبو جهل قائلاً:

- دعُوا أبا عمارةَ، فإنِّي والله سَبَبْتُ ابنُ أخيه سبّا قبيحًا.

وأسلَمَ حمزةُ - رضيَ اللهُ عنهُ- فعرفَتْ قريشٌ أنَّ رسولَ الله ﷺ قدْ عزَّ وامتنعَ، فكفُّوا عنهُ بعضَ آذاهُم.

ولم يتوقفْ كفارُ قريش عن مساوماتهم للرسول ﷺ.

وكانَ من ذلكَ أن عرَضُوا عليه أن يعبدَ آلهتَهم عامًا ويعبدونَ ربَّهُ عامًا، فقدْ كانَ رسولُ الله ﷺ يطوفُ ذاتَ يوم بالكعبة فاعترضَه الأسودُ بنُ المطلب بن أسد بن عبد العُزَّى والوليدُ بنُ المغيرةِ وأميَّةُ ابنُ خلف والعاصُ بنُ وائل، فقالُوا:

- يا محمدُ هلمَّ فلْنعبدْ ما تعبدُ، وتعبدْ ما نعبدُ فنشتركُ نحنُ وأنتَ في الأمر، فإنْ كانَ الذي تعبدُ خيرًا ممَّا نعبدُ كنَّا قدْ أخذنَا بحظِّنا منهُ، وإنْ كانَ ما نعبدُ خيرًا مما تعبدُ كنتَ قد أخذتَ بحظِّكَ منهُ.

فرفضَ رسولُ الله ﷺ هذه المساومَةَ، وأنزلَ اللهُ تعالَى فيهم: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾.

* * *

وكانَ أبو لهب - عمُّ النبيِّ - من أكثر كفار قريش إيذاءً لهُ، فقدْ كانَ يجولُ خلفُ النبيِّ ﷺ في موسم الحجِّ والأسواق لتكذيبه، وكانَ يضربُ النبيَّ بالحجارة الصغيرة.

وكانْت زوجةُ أبي لهب لا تقلُّ عنْ زوجها عداوةً للنبيِّ ﷺ؛ فقدْ كانَتْ امرأةً سليطةَ اللسان، وكانتْ تحملُ الشَّوكَ وتضعُه علَى باب النبيِّ ليلاً ليتعثَّرَ به وهو خارجٌ؛ ولذلكَ سمَّاها القرآنُ الكريمُ ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ ونزل فيها وفي زوجها قول الله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾[1].

ولما سمعتْ ما نزلَ فيهَا وفي زوجها جاءتْ إلى رسول الله ﷺ وهوَ جالسٌ عندَ الكعبة ومعهُ أبو بكر الصديقُ، وقد ملأت كفَّها

(١) سورة المسد: الآيات ١ - ٥.

حجارةً صغيرةً، فأذهبَ اللهُ بصَرها عن رسول الله ﷺ فلمْ تَر إلا أبا بكرٍ، فقالتْ:

- يا أبا بكرٍ أينَ صاحبُكَ؟ قدْ بلغني أنه يهجُوني.. والله لو رأيتُه لضربتُ بهذه الحجارة فَاه[1].

ثمَّ انصرفتْ، فقالَ أبو بكرٍ للرسول ﷺ:

- يَا رسولَ الله، أمَا تراهَا رأتْك؟

فقالَ:

- ما رأتني لقدْ أخَذ اللهُ ببصرها عنِّي.

ويروي ابنُ إسحاقَ فيقولُ: كانَ النَّفَر الذينَ يؤذونَ رسولَ الله ﷺ في بيته: أبا لهب، والحكَمَ بنَ أبي العاص بن أميَّةَ، وعُقْبَةَ بنَ أبي مُعَيْط، وعديَّ بنَ حمراءَ الثقَفي، وابنَ الأصداء الهذَليَّ وكانُوا جيرانَه!! لم يُسلمْ منهُم أحدٌ إلا الحكمُ بنُ أبي العاص. فكانَ أحدُهم - وهوَ عُقبةُ بنُ أبي مُعَيط - يطرحُ علَى رسول الله ﷺ رَحِمَ الشاةِ وهو

(١) فاه: فمه..

يصلّي، وكان أحدُهم يطرحُه في بُرْمَته[1] إذا نُصِبَتْ له، حتَّى اتخذَ رسولُ الله ﷺ حَجَرًا ليستترَ به منهُم إذا صلّى.

وكانَ رسولُ الله ﷺ إذا طرحُوا عليه ذلكَ وهمْ جيرانُه يخرجُ به، ويقفُ على بابه ثمَّ يقولُ:

- يا بني عبد مناف.. أيّ جوارٍ هذا؟!

* * *

وهكذَا مضتْ قريشٌ في إيذائها للنبيِّ ﷺ وصحابته فقدْ كانُوا يعذِّبونَ المستضعفينَ من المسلمينَ ويضربونَهم بالسياط ويضعونَ على أجسادهم الحجارةَ الثقيلةَ في صحراء مكةَ في شدةِ الحرِّ.. فصبرُوا علَى ما أوذُوا حتَّى أتاهُم نصرُ الله.

ولما اشتدَّ تعذيبُ المشركينَ لصحابة رسول الله ﷺ جاءَ إليه خبَّابُ ابنُ الأرَتِّ، وقالَ:

- يا رسولَ الله، ألا تدعُو اللهَ لنَا؟

(١) البُرْمَة: القدر التي يُطبَخُ فيها الطعام.

فقامَ ﷺ مُحْمَرَّ الوجه وقالَ كلمات يُثبِّتُ بها صحابتَه:

«قدْ كانَ من قبلكم يؤخذُ الرجلُ فيحفَرُ لهُ في الأرض، ثمَّ يُجاءُ بالمنشار فيُجعَلُ فوقَ رأسه مَا يصرفُه عنْ دينه، ويُمْشَط بأمشاط الحديد ما دونَ لحمه من عَظْم وعَصَب، ما يصرفُه عَن دينه، ولَيُتمَّنَّ اللهُ هذَا الأمرَ حتَّى يسيرَ الراكبُ من صَنعاءَ إلى حضرَموتَ لا يَخشى إلا اللهَ -عزَّ وجلَّ- والذئبَ علَى غَنَمه، ولكنَّكُمْ تَعجلُونَ»[1].

لقدْ أرادَ النبيُّ ﷺ بهذه الكلمات أن يثبِّتَ أصحابَه علَى طريق الحقِّ، فيستسهلُوا العذابَ في سبيل الله.. وتهونَ عليهم الدنيَا في سبيل نشر دين الله.

وكانَ ﷺ يمرُّ عليهم وهم يُعَذَّبونَ في صحراء مكةَ وقتَ الحرِّ الشديد، فيرقُّ لهُم ويدمعُ قلبُه، ويعدُهم بنصر الله القادم لا محالةَ؛ فإنَّ المسلمَ في فوز دائم ما دامَ علَى طريق الله.. فإمَّا النَصْر وإمّا الشَّهادة والفوْز برضوان الله.

وذاتَ يوم مرَّ رسولُ الله ﷺ علَى عمّار بن ياسر وأبيه وأمِّه

(١) أسْد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، جـ: ١، ص: ٥٩٢.

(سميّة)، وكانَ أبو جهل ومعَهُ عددٌ منْ كفَّار قريش يخرجونَهم إذا حَميَت الصحراءُ واشتدَّ حرُّها فيعذِّبونَهم. . فلمَّا رأى النبيُّ ﷺ ذلكَ قالَ لهُم:

- صبرًا آلَ ياسر، فإنَّ موعدَكم الجنةُ.

وماتَ ياسرٌ في العذاب، وقامَ أبو جهلٍ فطعَنَ سميّةَ أمَّ عمارٍ بَحرْبَةٍ فماتَتْ وهيَ أولُ شهيدة في الإسلامِ.

وكانَ أميَّةُ بنُ خَلَف يعذبُ بلالَ بنَ رباحٍ في صحراء مكةَ، يضعُ عليه الحجارةَ الثقيلةَ وبلالٌ يتحمَّلُها في ثباتٍ ويرفعُ سبَّابَتَه إلى السماء قائلاً نداءَه المعروفَ:

- أحَدٌ. . أحَد.

فمرَّ عليه أبو بكرٍ - رضيَ اللهُ عنهُ - فاشتراهُ من أميةَ، وأنقذَ بلالاً من التعذيبِ وأعتقَه من ذُلِّ العبودية.

واشترَى أبو بكرٍ - رضيَ اللهُ عنهُ- كثيراً من العبيد والجواري ممن أسلمُوا وأعتقَهم في سبيل الله.

وهكَذَا بذلَ المشركونَ ما بذلُوه من صنوفِ العذابِ، ووقفُوا في

طريق الدعوة وفي طريق الإسلام بالمرصاد، ولكنَّهم واجَهُوا قلوبًا قويةً بالإيمان، وأرواحًا متَّصلةً بالسماء، لا يصرفُها عن دينها تنكيلٌ أو تعذيبٌ، بلْ كانُوا يَستعْذِبونَ ذلكَ في سبيل الله.

ومضَى الرسولُ ﷺ في دعوته غيرَ آبه بإيذاء الكفار لهُ، وفي كلِّ يوم يشعُّ نورُ الإسلام في بيتٍ من بيوتِ مكةَ ولو كرِهَ الكافرونَ.

الحِصَار

أسلمَ حمزةُ وأسلمَ عُمَرُ بنُ الخطَّاب، وجاهرَ المسلمونَ بالدعوة بعدَ أنْ كانتْ سرّا، وأصبحَ المسلمونَ يصلُّونَ عندَ الكعبةِ تحتَ بَصَرِ وسَمْع المشركينَ.

وأصبحَ الرسولُ في مَنَعَة من أصحابه، ووقفَ عمُّه أبو طالب معَه، فحَارَ كفَّارُ قريش، ماذَا يفعلونَ لحرب هذه الدعوة وإيقافها؟ فهم لا يستطيعونَ قتلَ محمد ﷺ؛ حيثُ لنْ يسكُتَ بَنُو عَبد المطلب وبنُو هاشم علَى ذلكَ، وقدْ يحدثُ بسبب ذلكَ مَقتلةٌ عظيمةٌ للفريقين.

فاجتمعَ كفَّارُ قريش وتحالفُوا على مقاطعة بني عبد المطلب وبني هاشمٍ مقاطعة شاملةً، ألاّ يناكحُوهم ولا يبايعُوهم، ولا يجالسُوهم، ولا يخالطُوهم، ولا يدخُلُوا بيوتَهم، ولا يكلِّمُوهم، حتى يسلمُوا إليهم رسولَ الله ﷺ - للقتل- وكتبُوا بذلكَ صحيفةً علّقُوها في جوف الكعبة.

وحُبسَ بنو عبد المطلب وبنو هاشم في شعْب أبي طالب، وحوصرُوا ومنعتْ عنهُم الأطعمةُ، فلمْ يدخلْ مكةَ طعامٌ إلا بادرَ كفارُ

قريش واشتَروه. وتحمَّلَ المسلمونَ هذَا الحصارَ وكانَ يؤازرُهم غيرُ المسلمينَ من بني عبد المطَّلب وبني هاشم، وكانَ لا يصلُ إليهم شيءٌ إلا سرّا.. ورغمَ شدَّة ما همْ فيه من الجوع والحصار فقدْ كانَ رسولُ الله ﷺ والمسلمونَ يخرجُونَ في أيام مَوْسم الحجِّ، فيلقَونَ الناسَ، ويدعونَ إلى الإسلام.

مرَّت ثلاثةُ أعوام كاملةٌ علَى هذَا الحصار، حتى جاءَ العامُ العاشرُ من البعثَة النبويّة، فحدثَ نقضُ الصحيفة المعلَّقة بالكعبة وفكُ الحصار الظالم.

وذلكَ أنَّ النبيَّ ﷺ أخبرَ عمَّه أبا طالب أنَّ اللهَ أرسَل الأرَضَة على الصحيفةِ، فأكلتْ جميعَ ما فيَها من جَوْرٍ وظلمٍ إلا اسمَ اللهِ عزَّ وجلَّ.

فذهبَ أبو طالبٍ إلى كفارِ قريشٍ فأخبَرهم بما أخبرَه بهِ الرسولُ ﷺ وقالَ لهُم:

- فإنْ كانَ كاذبًا خلّيْنَا بينكم وبينَه، وإنْ كانَ صادقًا رجعتُم عن قطيعتِنا وظلمِنا.

فقالُوا:

- قد أنصفتَ.

فقامَ المطعمُ بنُ عَديٍّ إلى الصحيفة فوجدَ الأرَضَةَ قد أكلَتها إلا «باسمكَ اللهُمَّ». . وما كانَ فيهَا من اسمِ الله لمْ تأكلْه.

فتمَّ نقضُ الصحيفة، وخرج رسولُ الله ﷺ ومن معه من الشَّعب. ولقد رأى المشركون آية عظيمة ومعجزة من معجزات نبوته، ولكنهم أغلقوا قلوبهم وعقولهم عن الحق وأعرضوا في تعنُّتٍ واستكبار.

عامُ الحزنِ

خرجَ الرسولُ ﷺ ومَن مَعَهُ من شعْب أبي طَالب في العَام العَاشر منَ البَعثة النبوية، ولكنْ رغمَ خُروج المسلمينَ من هذَا الحصار الظالم إلا أنَّ هذَا العام سُمِّي (عامَ الحزن)، فقدْ سقَط فيه ركنان منْ أهمِّ الأركان التي كانتْ سنداً للرسول ﷺ:

أولاً: عمُّه أبو طالب الذي ناصرَ الرسولَ ﷺ ولم يألُ جهدًا في كلِّ ما يحتاجُ إليه في سبيل تأمين دعوته، وقد حزنَ الرسولُ ﷺ كثيراً لموته؛ فقدْ كانَ الحصنَ المنيعَ الذي يردُّ سفاهةَ السفهاء، وجَهَالة الجُهَلاء وبطشَ المتجبِّرينَ. وقد رُوي أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: ما نالتْ منِّي قريشٌ شيئاً أكرَهُهُ حتَّى ماتَ أبو طالب».

ثانياً: زوجُهُ خديجةُ رضيَ اللهُ تعالَى عنْهَا، وهي ذات التاريخِ المجيد في نُصْرة الرسول ﷺ.. آمنتْ به حينَ كذبهُ الناسُ، وواسَتْه بمالها وفكْرها وكلِّ قُواهَا.

وعندمَا رجعَ الرسولُ ﷺ يرجُفُ فؤادُه ودخلَ عليهَا وقالَ: «زَمِّلُوني.. زَمِّلُوني».. فزمَّلوه حتى ذهبَ عنه الرَّوعُ، فأخبرَ

خديجةَ بخبره، ثمَّ قالَ «لقدْ خَشيتُ على نفسي»، فقالتْ له خديجةُ:

- «كَلا والله لا يُخْزيكَ اللهُ أبدًا؛ إنَّكَ لَتَصلُ الرِّحمَ، وتحملُ الكَلَّ، وتُكسبُ المعدومَ، وتقري الضيفَ، وتُعينُ على نوائبِ الحقِّ..».

وهكذا وقفتْ معهُ خديجةُ، وواجهتْ معَه مصاعبَ الدعوة في مثاليَّة فَذَّة، وحنان دَافق فقدَه الرسولُ ﷺ في العام نفسه. ومن هنا، وبعدَ فَقْد هذين الركنين انهالتْ سفاهاتُ الكفر، وزاد الكفَّارُ في إيذائهم للنبيِّ ﷺ وللمسلمينَ، ولكنَّهُ مضَى في دعوتِه لم يأبه بسفاهاتِهم وتعنُّتِهم واستكبارِهم.

فِي الطَّائف

اتَّجهَ الرسولُ ﷺ إلى شرقيِّ مكةَ، قاصدًا الطائفَ ليلتمسَ العونَ والمَنَعَةَ، فلمَّا وصلَها أبدَوْا له من العناد والإنكار لدعوته مَا يدلُّ على فساد طباعهم وعقائدهم، وإصرارهم علَى ضلالهم القديم.

قطعَ الرسولُ ﷺ عشرةَ أيام صابرًا محتسبًا علَّه يجدُ قلوبًا تلينُ لدعوته، وآذانًا تسمعُ نداءَه، ولكنَّ القومَ ظلُّوا في ضلالهم يعمَهُون، وقابلُوه بإصرار دائم على الإنكار، وزادُوا على ذلكَ بإيذائه فأسرعَ بالرحيل عنهُم قائلاً لهُم: «إذا أبيْتُم فاكتُموا عليَّ ذلكَ حتى لا يذاعَ النبأ في مكةَ»، فتندلعَ شماتَتُهم.

ولكنَّ أهلَ الطائف تجرَّدوا من أيسر مظاهر المروءة والرحمة، فأغرَوْا به سفهاءَهُم وعبيدَهُم، واجتمَعُوا له يشيِّعونَه بالسِّباب، ويقذفونَه بالحجارة، حتَّى سالَ الدَّمُ الشريفُ من قدَميْه ﷺ، فذهبَ إلى حائط[1] لعتبةَ وشيبة ابنَيْ ربيعةَ، وجلسَ إلى ظلِّ شجرة من عنب حتَّى اطمأنتْ أنفاسُه، فصعَّدَها للسماء طاهرةً مبرورةً هاتفًا من أعماقِه:

(١) حائط: بستان.

«اللهمَّ إليكَ أشكُو ضَعْفَ قُوَّتي، وقلّةَ حيلتي، وهَواني علَى الناس، يا أرحمَ الراحمين، أنتَ ربُّ المستضعفينَ، وأنتَ ربِّي، إلَى مَن تكلُني، إلى بعيد يتجَهَّمُني، أمْ إلَى عدوٍّ ملَّكْتَه أمري، إنْ لمْ يكنْ بكَ غَضَبٌ عليَّ فَلا أبَالي، ولكنَّ عافيتَك أوسعُ لي، أعوذُ بنور وجهك الذي أشرقتْ له الظلماتُ، وصلُحَ عليه أمرُ الدنيَا والآخرة، من أن تُنزل بي غضبك أو تُحلَّ عليَّ سَخَطَك، لكَ العُتْبَى حتَّى تَرضَى، ولا حولَ ولا قوَّة إلا بكَ».

وفي هذه اللحظات تجيشُ العاطفةُ في قلب كلٍّ من عتبةَ وشيبةَ ابنَيْ ربيعةَ فإذا بهمَا يرسلان غلامَهما النصرانيَّ «عَدَّاسًا» يقطفُ عنبًا ويذهبُ به إلى الرسول ﷺ، فلمَّا وضعَ الرسولُ يدَه فيه قالَ: بسم الله. ثمَّ أكلَ. ونظرَ عدَّاسٌ قائلاً:

- هذَا كلامٌ لا يقولُه أهلُ هذهِ البلادِ.

فسألَهُ الرسولُ ﷺ:

- من أيِّ البلادِ أنتَ وما دينُك؟!

فقالَ:

- أنا نصرانيٌّ من (نِينَوَى).

فقالَ الرسولُ ﷺ :

- أمِن قرية الرجل الصالح يونُسَ بنِ مَتَّى؟

قال له :

- وما يدريكَ ما يونُس؟

قالَ الرسولُ ﷺ :

- ذلكَ أخي كان نبيّا وأنا نبيٌّ.

فأكبَّ عداسٌ علَى يديْ رسول الله ﷺ ورجلَيْه يقبلُهُما. وكانَ ابنَا ربيعةَ عتبةَ وشيبةَ يراقبانِ ذلكَ، فقالَ أحدُهما للآخرِ :

أما غلامُكَ فقد أفسَدْه عليكَ.

فلمَّا جاءَ عداسٌ قالا له :

- ويحَكَ ما هذَا؟!

فقالَ مشيراً إلى الرسول ﷺ :

- ما في الأرض خيرٌ من هذَا الرجل.

رؤوف رحيم

ولـمَّا لـمْ يجدْ رسولُ الله ﷺ في الطائف قلوبًا متقبِّلةً لدعَوته، ولا آذانًا تُصْغِي لهدايته عاد إلى مكةَ المكرمةَ وهو مهمومٌ مما لاقاهُ من القَوم من عَنَت وجُحود، وتكْذيب وسَفاهة، فلم يَسْتَفق الرسولُ ﷺ إلا وهو بـ(قَرْن الثَّعالب)، فرفعَ رأسَه فإذَا هوَ بسحابة قدْ أظلَّتْه، وإذا فيهَا جبريلُ عليه السلامُ. قال ﷺ: «فناداني فقالَ: إنَّ اللهَ قد سمعَ قولَ قومكَ لكَ، وما ردُّوا عليكَ، وقد بعثَ إليكَ ملَكَ الجبال، لتأمرَه بما شئتَ فيهم.

قالَ: فناداني مَلَكُ الجبال وسلّم علَي، ثمَّ قالَ:

- يا محمدُ، إنَّ اللهَ قد بعثني إليكَ، وأنَا مَلَكُ الجبالِ لتأمرَني بأمرِك، إن شئتَ أطْبقُ عليهمُ الأخشَبَيْنِ[1].

فقالَ رسولُ الله ﷺ:

- بل أرجُو أن يُخرجَ اللهُ من أصلابِهم منْ يعبدُ اللهَ وحدَه ولا يشركُ به شيئًا.

(١) الأخشبان: جبلان في مكة المكرمة.

فقالَ مَلَك الجبالِ: أنتَ كمَا سمَّاك ربُّك رؤوفٌ رحيمٌ

* * *

ورجعَ الرسولُ ﷺ إلى مكةَ فقالَ لهُ زيدُ بنُ حارثةَ:

- كيفَ تدخلُ عليهم وقد أخرجوكَ؟

فقالَ:

- يا زيدُ إنَّ الله جاعلٌ لما تَرى مخرجًا.

ثمَّ توجَّهَ بعدَ ذلكَ إلى حراءَ وأرسلَ زيدَ بن حارثَة إلَى الأخنسِ ليجيَره فأبَى، ثم بعثَهُ إلى سُهَيلٍ فأبَى أيضًا، ثمَّ بعَثه إلى المطعم بن عديٍّ فأجابَه المطعمُ إلى هذَا الجوار. وخرجَ المطعمُ يعلنُ ذلكَ أمامَ المشركينَ فقدْ تسلَّحَ ودعَا بنيه وقومَه فقالَ: البسُوا السلاحَ، وكونُوا عندَ أركانِ البيت؛ فإنِّي قد أجَرْتُ محمدًا.

ثمَّ قامَ المطعمُ بنُ عديٍّ علَى راحلته ونادَى: يا معشرَ قريشٍ، إنِّي قد أجرتُ محمدًا فلا يهجُوه أحدٌ منكم.

فدخلَ رسولُ الله ﷺ إلى البيت الحرام واستلمَ الركنَ وصلَّى ركعتين، وانصرفَ إلى بيته، ومطعمُ بنُ عديٍّ وولده مُحْدِقُونَ به بالسلاحِ حتَّى دخلَ بيتَه.

وقد حَفظَ الرسولُ ﷺ للمطعم هذا الصنيع، فقالَ في أسارَى بدر: لو كانَ المطعمُ بنُ عديٍّ حيّا ثمَّ كلَّمني في هؤلاء لتركتُهم لهُ.

إنَّهُ الوفاءُ الذي يَضربُ فيه الرسولُ ﷺ أروعَ الأمثالِ.

الإسْراء والمِعْراج

وقبلَ الهجرة النبوية بعام واحد - على أرجح الأقوال - وقَعتْ معجزةُ الإسراء، وقبلَ أنْ نتحدَّثَ عنْ هذه المعجزة نقرأ قصةَ الرحلة المباركة يرويَها الإمامُ ابنُ القيِّم[1]، فيقول:

أسْريَ برسول الله ﷺ بجَسده - على الصحيح - من المسجد الحرام إلى بيت المقدس، راكبًا على البراق، وصَحبَه جبريلُ - عليهمَا الصلاةُ والسلامُ - فنزلَ هنَاك، وصلَّى بالأنبياء إمامًا، وربطَ البراقَ بحلقة بابِ المسجدِ . . ثم عُرِجَ به تلكَ الليلةَ من بيتِ المقدسِ إلى السماءِ الدنيا.

فاستفتَح لهُ جبريلُ ففُتحَ لَه، فرأى هنالكَ آدمَ أبا البشر، فسلّم عليه، فرحَّب به وردَّ عليه السلامَ، وأقرَّ بنبوَّته، وأراه اللهُ أرواحَ الشهداء عن يمينه، وأرواحَ الأشقياءِ عن يساره.

ثم عُرجَ به إلى السماء الثانية فاستفتَحَ له، فرأى يَحْيَى بنَ زكريَّا وعيسَى ابنَ مَرْيَم، فلقيهُما وسلَّمَ عليهما، فردَّا عليه ورحَّبا به، وأقرَّا بنبوَّته.

(١) زاد المعاد ٢/ ٤٧، ٤٨

ثم عُرجَ به إلى السماء الثالثة فرأى فيهَا يُوسُفَ - عليه السلامُ- فسلَّمَ عليه، فردَّ عليه السلام، ورحَّب به وأقرَّ بنبوته.

ثم عُرج به إلَى السماءِ الرابعةِ، فرأى فيهَا إدريسَ، فسلَّم عليهِ ورحّبَ به وأقرَّ بنبوته.

ثم عُرجَ به إلى السماء الخامسة، فرأى فيها هارونَ بنَ عمرانَ، فسلَّم عليه ورحَّبَ به، وأقرَّ بنبوته.

ثم عُرج به إلى السماء السادسة فلقيَ فيها موسَى بنَ عمرانَ، فسلّمَ عليه، ورحّبَ به وأقرَّ بنبوته.

فلمَّا جاوزَه بكَى موسَى، فقيلَ له: ما يبكيكَ؟ فقالَ: أبكي لأنَّ غلامًا بُعثَ من بعدي يدخلُ الجنةَ من أمَّته أكثرُ ممَّا يدخلُها من أمتي.

ثمَّ عُرج به إلى السماء السابعة، فلقيَ فيهَا إبراهيمَ عليه السلامُ، فسلَّمَ عليه ورحَّبَ به، وأقرَّ بنبوته.

ثمَّ رُفعَ إلى سدْرَة المُنتهَى، ثمَّ رُفعَ له البيتُ المعمورُ.

ثمَّ عُرج به إلى الجَبَّار جلَّ جلالُه، فدنَا منهُ حتَّى كانَ قَابَ قوسين أو أدنَى، فأوحَى إلى عبده ما أوحَى، وفرضَ عليه خمسينَ صلاةً،

فرجعَ حتَّى مرَّ علَى موسَى فقالَ له: بمَ أمَرك؟ قال: بخمسينَ صلاةً. قال: إن أمَّتَك لا تطيقُ ذلكَ، ارجعْ إلى ربِّكَ فاسأله التخفيفَ لأمتكَ، فالتفتَ إلى جبريلَ كأنَّهُ يستشيرُه في ذلكَ، فأشارَ عليه أن نعمْ، إن شئتَ، فعَلا به جبريلُ حتى أتَى به الجبارَ تباركَ وتعالَى، وهوَ في مكانه - وهذَا لفظُ البخاريِّ - فوضعَ عنه عشرًا، ثم أنزلَ حتى مرَّ بموسَى، فأخبَره، فقالَ: ارجعْ إلى ربِّكَ فاسأله التخفيفَ، فلم يزلْ يترددُ بينَ موسَى وبينَ الله عزَّ وجلَّ، حتَّى جعَلها خمسًا في العمل وخمسينَ في الأجر، فأمَره موسَى بالرجوع وسؤال التخفيف، فقالَ: قد استحييتُ من ربِّي، ولكن أرضَى وأسلِّم، فلما بعدَ نادَى مناد، قد أمضيتُ فريضَتي وخفَّفتُ عن عبادي.

* * *

فلمَّا أصبحَ رسولُ الله ﷺ في قومه أخبَرهُم بما أراه اللهُ عزَّ وجلَّ من آياته الكبرَى، فاشتدَّ تكذيبُهم له وأذاهُم واستهزاؤُهم به، وسألوُه أن يصفَ لهُم بيتَ المقدس، فجلاَّه[1] اللهُ له، حتَّى عاينَه، فطَفقَ

(١) أي كشفه له حتى رآه أمام عينيه.

يصفُه لهُم ويخبرُهم عن علاماته، ولا يستطيعونَ أنْ يردُّوا عليه شيئًا، وأخبرَهُم عن عيرهم في مسرَاه ورجوعه، وأخبرَهُم عن وقت قُدومها، وأخبرَهم عن البعير الذي يقدمُها. وكانَ الأمرُ كَما قالَ، فلم يزدْهُم ذلك إلا نفوراً، وأبَى الظالمونَ إلا كفوراً. ويقالُ سُمِّيَ أبو بكرٍ صدِّيقًا لتصديقه بهذه الواقعة حينَ كذبَها الناسُ[1].

(١) انظر زاد المعاد ١/ ٤٨.

تأمُّلاتٌ

حولَ الإسراء والمعراج

قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[1].

في هذه الآية الكريمة أشارَ النصُّ القرآنيُّ المجيدُ إلى رحلة الإسراء مفتتحًا الحديثَ عنهَا بتسبيحه جلَّ شأنُه مبتدئًا بكمال تنزيه الذات العلية عنْ كلِّ نقص، وموضِّحًا الحُجَّةَ الدامغةَ الصريحةَ علَى أنَّها معجزةٌ فوقَ مستَوى العقل البشريَّ، وذلك بإسناد الفعل إلى الله العليِّ القدير، ولمَّا كانَ في الإسراء ما فيه من سُمُوِّ مكانة الرسول ﷺ وزيادة تشريفه فقدْ وصفَهُ اللهُ تعالَى بأسمَى الأوصاف، وأكرم المقامات، وهيَ قولُه تعالَى: «بعبده»؛ فهو الذي خلَصَتْ عبوديتُه، وكمَّله ربُّه، وأدَّبه فأحسنَ تأديبَه، وتوَّجَه بمكارم الأخلاق، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

وقد كشفتِ الآيةُ الكريمةُ عنْ آلاءِ اللهِ التي توافدَت علَى

(١) سورة الإسراء: ١.

حبيبه ﷺ، وذلكَ في قوله تعالَى: ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[1]. وفي تلكَ الآيات التي أراهَا اللهُ حبيبه ومصطفَاهُ ﷺ ما يدلُّ علَى كمال قدرة الله سبحانَه وتعالَى، مما لا يسوغُ لمنكر جاحد أن يتصدَّى لهذه المعجزة الخارقة بالإنكار، لاسيَّما وقد أمدَّ اللهُ تعالَى الفكرَ البشريَّ اليومَ بفيض غامر من العلوم والمعارف التي جعلتْه يرسلُ الطائرات في الأجواء، ويبعثُ سُفُنَ الفضاء فترسُو على القمر، فكيفَ ينكرُ إنسانٌ على خالق القُوَى والقدر ومدبر السموات والأرض إسراءَه برسوله ﷺ؟!

* * *

وما ينبغي الإشارةُ إليه أنَّ الإسراءَ والمعراجَ ليسَا المعجزةَ الرئيسةَ لتَأييد الدعوة، وإنَّما المعجزةُ التي تحدَّى بهَا القومَ هيَ القرآنُ الكريمُ. أمَّا هذه المعجزةُ فهيَ إحدى الخوارق، وفي الوقت نفسه تكريم أيّ تكريم لخاتَم المرسلينَ ﷺ.

ويظهرُ للباحث في قصة الإسراء والمعراج أن قصةَ المعراج لمْ تذكرْ

(١) سورة الإسراء: ١.

مع قصة الإسراء في سياق النصِّ القرآنيِّ الحكيم، مع أنَّهما حدثتَا في ليلة واحدة، وذلكَ إنَّما كان تنبيهًا لقلوب القومِ وفتحًا للأفق الفكريِّ لديهم حتَّى يدركوا الحقيقةَ عنْ طريق إيمانيٍّ سليم، تتضحُ أدلَّتُه أمامَ أعُينهم تدريجيّاً بالإسراء أولاً. وعندَما تتضحُ الحقيقةُ بأدلَّتها الناصعة علَى صدق الرسول ﷺ في وصفه لبيت المقدس عندَما سألَه المشركونَ عَنه ووصفَه لعيرهم التي كانتْ هناكَ، ومَا إلَى ذلك من الدلائل المادية علَى صدق المعجزة، فتأنسُ القلوبُ وتثقُ بالمعجزة، فيحدِّثُهم بعدَ ذلكَ - القرآنُ الكريمُ عَن بقية الرحلة في سورة النجم، قالَ الله تعالَى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾[1].

* * *

(١) سورة النجم: ١ - ١٨.

رسمتْ رحلةُ الإسراء والمعراج منهجًا مشرقًا للحياة، وأخذتْ مسيرتُها المباركةُ تقدِّم قيمًا رشيدةً وحكمًا دقيقةً، وطالعَت العالمينَ بمعجزة باهرة سبقَتْ تقدُّمَ العلم الحديث واكتشافاته، وخرقَتْ نواميسَ الطبيعة، وتحدَّتْ دورةَ الزمن، ويومَها تمحَّصَت قلوبٌ؛ وتفجَّرتْ مبادئُ، وتماسكتْ قُوَى الإيمان الصادق لتواكبَ قافلةَ الدعوةِ في نضالها حتى يُحقَّ اللهُ الحقَّ ويبطلَ الباطلَ ولو كرهَ الكافرونَ.

وقد كشفت هذه الرحلةُ عنْ صور ونماذجَ لمنْ اعتدلَ بفطرته ولمن حادَ عنها. ومن بين ما ألقتْ عليه الرحلةُ من أضْواء ركنٌ من أركان الإسلام وفريضةٌ من أهمِّ الفرائض، وهيَ الصلاةُ.

والصلاةُ كانتْ من بين ما أوحَى اللهُ به إلى نبيِّه ﷺ ومن بينِ ما افترضَه ليلَتها على نبيِّه ﷺ.

وهكذا يتضحُ لنا سموُّ مكانة هذه الفريضة، ومنزلتُها المهمةُ عندَ الله سبحانَه وتعالَى، فقد استدعَى الحبيبُ حبيبَه، وعرجَ به إلى السموات حتَّى كانَ في حضرته القُدُسيَّة ليخاطبَه مشافهةً بهذَا الأمر المهم، وبتلكَ الفريضة المحبوبة، الصلاة. فمنزلةُ الصَّلاة من الدين

كمنزلة الرأس من الجسد، فلا دينَ لمنْ لا صلاة لهُ.

* * *

وكانَ عطاءُ الله تعالَى لرسوله ﷺ في هذه الرحلة المباركة علَى حسب كرم الله العزيز الوهاب، وعلَى حسب عظمته وحكمته فكانَ عطاءً كريمًا وجزيلاً، وبعدَ فترة أوذيَ فيهَا الرسولُ ﷺ فتحمَّلَ، وصبرَ صبرًا جميلاً، إنَّهُ عطاءٌ من نوعٍ فريدٍ لا مثيلَ لهُ.

أولَ مَن أسلمَ من يَثْرِبَ

كانَ الرسولُ ﷺ يعرضُ نفسَه ودعوتَه على أهل القبائل القادمينَ إلى مكةَ في مواسم الحجِّ، وكثيراً ما كانَ يلاقي إعراضًا من هذه القبائلِ، حتى جاءَ العامُ الحاديَ عشرَ من البعثة النبوية، وبدأتْ بشائرُ الدعوة خارجَ مكةَ المكرمة، وذلكَ أنَّ الرسول ﷺ خرجَ ذاتَ ليلة ومعَه أبو بكرٍ وعليٌّ فمرَّ بعَقَبة منى، فسمعَ أصواتَ رجالٍ يتكلمونَ، فلحقَ بهم، وكانُوا ستةَ نفرٍ من يثربَ وهم:

١ـ أسعدُ بن زُرارةَ.

٢ـ عونُ بنُ الحارث بن رفاعةَ.

٣ـ رافعُ بنُ مالك بن العجلان.

٤ـ قطبةُ بنُ عامر بن حديدةَ.

٥ـ عقبةُ بنُ عامر بن نابي.

٦ـ جابرُ بنُ عبد الله بن رئاب.

فلمَّا لحقَ بهم رسولُ الله ﷺ قالَ لهُم:

- من أنتُم؟

فقالُوا:

- نفرٌ منَ الخزرج.

فسألَهُمُ النبيُّ ﷺ:

- من مَوالي اليهود؟! (أي من حلفائهم).

فقالُوا:

- نعمْ.

فقالَ لهُم:

- أفلا تجلسون أكلمكم؟

قالُوا:

- بلَى.

فجلسَوا معَه، وشرحَ لهُم رسول الله ﷺ حقيقةَ الإسلام والدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ، ونَبْذ عبادة الأصنام، وتَلا عليهم القرآنَ. فنظرَ بعضُهُم إلى بعضٍ، وقالُوا:

- تعلمونَ والله يا قومُ، إنه للنبيُّ الذي توعَّدَكم به اليهودُ، فلا تسبقَنَّكم إليه. فأسرعُوا إلى إجابة دعوته وأسلمُوا.

فأسلَموا أمامَ النبيِّ وبايعُوه، وقالَ له بعضُهم:

- إنَّا قدْ تركنَا قومَنا ولا قومَ بينَهم من الشرِّ والعداوة مَا بينَهم، فعسَى أن يجمَعَهم اللهُ بكَ، فسنقدمُ عليهم، فندعُوهم إلى أمرك، ونعرضُ عليهم الذي أجبناكَ إليه من هذا الدين، فإنْ يجمعْهُم اللهُ عليكَ فلا رجلَ أعزُّ منكَ.

وكانَ هؤلاء الستةُ أولَ من أسلمَ من يثربَ، وانطلقُوا بعدَ إسلامهم إلى هناكَ ينشرونَ دعوةَ الإسلام بينَ قومهم، حتى لمْ يبقَ دارٌ مِن دورِ يثربَ إلا وفيهَا ذِكرُ الإسلامِ وذِكرُ رسولِه ﷺ.

تذكر

موجَزُ الأحداث من الجَهْرِ بالدَّعوة إلى الهجرة

* نزلَ الوحيُ علَى رسول الله ﷺ بقول الله تعالَى ﴿وأنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلأَقْرَبِينَ﴾[1] . وكانَ ذلك إيذانًا للنبيِّ أن يجهر بدعوته ويظهرَها في عشيرته بعدَ أن مكَثت الدعوةُ سرِّيةً ثلاثَ سنوات .

* وقفَ النبيُّ ﷺ علَى جبل الصَّفَا ونادَى في قومه ينذرُهم وهوَ المعروفُ بينَهم بالصادق الأمين . واختلفَتْ ردودُ أفعال قومه وكانَ أشدَّها موقفُ عمِّه أبي لهب الذي ضمَّ يدَه ، وقال مشيرًا بهَا للنبيِّ : تبًا لكَ ألهذَا جمعتَنا ، بينَما تعهَّدَ أبو طالب بحماية النبيِّ من أذَى قومه .

* فوجئَ كفَّارُ مكةَ بدعوة النبيِّ ﷺ يجهرُ بهَا بينَهم وهيَ تسفِّه أحلامَهم وتسخَر من عبادتهم لأحجار لا تنفعُ ولا تضرُّ ، فوقَفُوا منهُ موقفَ العداء ، وقاومُوا الدعوَة بأساليبَ شتَّى ، ومنهَا : السخريةُ والتحقيرُ ، والاستهزاءُ ، وإثارةُ الشبهات ، والادِّعاءُ بأن النبيَّ ساحرٌ وكاهنٌ . . إلى غير ذلكَ من أقوالهم ومزاعمهم .

---

(١) سورة الشعراء : ٢١٤ .

* واستخدَم المشركونَ أسلوبَ التعذيب والضرب لمنْ أسلمَ من ضعفاء القوم وعبيدهم، وأكثرُ من أوذي في ذلكَ آلُ عمار بن ياسر؛ فقد استشهدَتْ سُمَيَّةُ ـ رضيَ اللهُ عنها ـ من شدَّة التعذيب، وتحمَّلَ بلالُ بنُ رباح الحبشيُّ من التعذيب ما لا يُطيقَه بشرٌ.. وغيرُهم كثيرٌ.

* ووصلَ إيذاءُ المشركينَ إلى النبيِّ ﷺ، وكانَ أكثرَ مَن يتعرَّضُ له بالإيذاء من كفار مكةَ عمُّه أبو لهب وزوجتُه أمُّ جميل (حمّالةَ الحطب)، كذلك أبوجهلٍ وعقبةُ بنُ مُعَيطٍ. وهؤلاء لمْ يُسلِمُوا وماتُوا على كفرهم.

* وفي رجب من السنة الخامسة للبعثة النبوية كانتْ هجرةُ المسلمينَ الأولَى إلى الحبشة، وكانَ أولُ فوج هاجرَ من المسلمينَ مكوّنًا من اثْني عشرَ رجلاً وأربع نسوةٍ، وكانَ رئيسَهم عثمانُ بنُ عفانَ، رضيَ اللهُ عنهُم جميعًا.

* وفي العام نفسه هاجَر الفوجُ الثاني من المسلمينَ، وكانَ مكوّنًا من ثلاثة وثمانينَ رجلاً، وثمانيَ عشرةَ امرأةً.

* هددتْ قريشٌ أبَا طالب فبلغَ ذلكَ النبيَّ ﷺ فقالَ لهُ كلمتَه المشهورةَ: «والله يا عمِّ لوْ وضعُوا الشمسَ في يميني والقمرَ في يساري على أنْ أتركَ هذَا الأمرَ ما تركته».

* وفي أواخر العام السادس من البعثة النبوية تحقَّق للإسلام فتحٌ جديدٌ في مكةَ، وذلكَ بإسلام حمزةَ بن عبد المطلب - عمِّ النبيِّ - وإسلام عمرَ بن الخطاب رضي الله عنهما. وكانَ عمرُ وحمزةُ - رضيَ اللهُ عنهما - من الأقوياءِ في مكةَ بحيث استطاعَا حمايةَ الضعفاء منَ المسلمينَ، ومجابهةَ قريش بالدعوة في قوةٍ وصراحة.

* وفي أوائل العام السابع من البعثة النبوية أعلنَ كفارُ قريش المقاطعةَ العامةَ لبني عبد المطلب وبني هاشم لمساندتهم النبيَّ ﷺ، وكتبُوا بذلكَ صحيفةً علَّقوهَا في جوف الكعبة، وحُوصرَ النبيُّ ﷺ ومَعه بنو هاشم وبنو عبد المطلب مَن أسلمَ منهُم ومن لمْ يسلم في شعْب أبي طالب ثلاثَ سنوات، إلى أنْ أذنَ اللهُ بنقض صحيفة الجورِ والظُّلم، وخرجَ المسلمونَ من الشِّعبِ.

* وسُمِّيَ العامُ العاشرُ من البَعثة النبوية بعام الحُزن؛ فقدْ تُوُفِّيَ في هذا العام أكبرُ نصيريْن للنبيِّ ﷺ في مواجهة المشركينَ، وهمَا عمُّه أبو طالبٍ، وزوجُه السيدةُ خديجةُ بنتُ خويلدٍ - رضيَ اللهُ عنها.

* واصلَ الرسولُ دعوتَه وانطلقَ بهَا خارجَ مكةَ فذهبَ إلى الطائف، ثمَّ بدأ يعرضُ نفسَه على القبائل التي تَفِدُ إلى مكة للحجِّ أو التجارةِ.

* وفي السنة الحاديةَ عشرةَ من البعثة النبوية بدأ الإسلامُ يدخلُ إلى يثربَ عنْ طريق وفود أهلها الذينَ يزورونَ مكةَ في موسم الحجِّ، فبدأ بعضُهم في دخولِ الإسلام.

* وفي رجب من عام ١٢ أو ١٣ من البعثة النبوية حدثتْ رحلَتا الإسراء والمعراج.

* وفي موسم الحج من سنة ١٢ من البعثة النبوية تمَّتْ بيعةُ العقبةِ الأولَى بين النبيِّ ﷺ واثنيْ عشرَ رجلاً ممنْ أسلمَ منْ أهلِ يثربَ.

* وفي موسم الحجِّ التالي أيْ سنة ١٣ مَن البعثة النبوية تمتْ بيعةُ

العقبة الثانيةُ بينَ النبيِّ ﷺ وبضعةٍ وسبعينَ رجلاً وامرأةً ممنْ أسلمَ من أهل يثربَ.

* بعدَ بيعة العقبة الثانية أذنَ الرسولُ ﷺ لصحابته بالهجرة إلى يثربَ، فبدأتْ طلائعُ المهاجرينَ من المسلمينَ فرادَى وجماعاتٍ، سرّاً وعلانيةً.

* وفي هذا العامِ نفسه اجتمعَ الكفارُ في دار الندوة واتَّخذُوا قراراً بقتل النبي ﷺ، ولكنَّ الله سبحانَه نجَّاهُ من القتلِ، وانطلقَ النبيُّ ﷺ مهاجراً إلى يثربَ ومعَه صاحبُه أبو بكرٍ رضي الله عنه.

المحتويات

الموضوع	الصفحة
- إيذاء قريش	٥
- الحصار	١٦
- عام الحزن	١٩
- في الطائف	٢١
- رؤوف رحيم	٢٤
- الإسراء والمعراج	٢٧
- تأملات حول الإسراء والمعراج	٣١
- أول من أسلم من يثرب	٣٦
- تذكر . . موجز أحداث من الجهر بالدعوة إلى الهجرة	٣٩